رسائل أمير المؤمنين عليه السلام‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 363

باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام، و رسائله إلى أعدائه و أمراء بلاده، و يدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله، و وصاياه لأهله و أصحابه.

1 و من كتاب له ع إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار و سنام العرب أما بعد فإني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه إن الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه و أقل عتابه و كان طلحة و الزبير أهون سيرهما فيه الوجيف و أرفق حدائهما العنيف-\* و كان من عائشة فيه فلتة غضب فأتيح له قوم [قتلوه‏] فقتلوه و بايعني الناس غير مستكرهين و لا مجبرين بل طائعين مخيرين و اعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها و قلعوا بها و جاشت جيش المرجل و قامت الفتنة على القطب فأسرعوا إلى أميركم و بادروا جهاد عدوكم إن شاء الله عز و جل‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 364

2 و من كتاب له ع إليهم بعد فتح البصرة

و جزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته و الشاكرين لنعمته فقد سمعتم و أطعتم و دعيتم فأجبتم‏

3 و من كتاب له ع [كتبه‏] لشريح بن الحارث قاضيه‏

و روي‏ أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين ع اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه ذلك فاستدعى شريحا و قال له بلغني أنك ابتعت دارا بثمانين دينارا و كتبت لها كتابا و أشهدت فيه شهودا فقال له شريح قد كان ذلك يا أمير المؤمنين قال فنظر إليه نظر المغضب ثم قال له- يا شريح أما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك و لا يسألك عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصا و يسلمك إلى قبرك خالصا فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك أو نقدت الثمن من غير حلالك فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 365

و دار الآخرة. أما إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتابا على هذه النسخة فلم ترغب في شراء هذه الدار [بالدرهم‏] بدرهم فما فوق و النسخة هذه هذا ما اشترى عبد ذليل من ميت قد أزعج للرحيل اشترى منه دارا من دار الغرور من جانب الفانين و خطة الهالكين و تجمع هذه الدار حدود أربعة الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات و الحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات و الحد الثالث ينتهي إلى الهوى المردي و الحد الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي و فيه يشرع باب هذه الدار اشترى هذا المغتر بالأمل من هذا 28 المزعج بالأجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة و الدخول في ذل الطلب و الضراعة فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى منه من درك فعلى مبلبل أجسام الملوك و سالب نفوس الجبابرة و مزيل ملك الفراعنة مثل كسرى و قيصر و تبع و حمير و من جمع المال على المال فأكثر و من بنى و شيد و زخرف و نجد و ادخر و اعتقد و نظر بزعمه للولد إشخاصهم جميعا إلى موقف العرض و الحساب و موضع الثواب و العقاب إذا وقع الأمر بفصل القضاء و خسر هنالك المبطلون‏ شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى و سلم من علائق الدنيا

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 366

4 و من كتاب له ع إلى بعض أمراء جيشه‏

فإن عادوا إلى ظل الطاعة فذاك الذي نحب و إن توافت الأمور بالقوم إلى الشقاق و العصيان فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك و استغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك فإن المتكاره مغيبه خير من مشهده و قعوده أغنى من نهوضه‏

5 و من كتاب له ع إلى أشعث بن قيس عامل أذربيجان‏

و إن عملك ليس لك بطعمة و لكنه في عنقك أمانة و أنت مسترعى لمن فوقك ليس لك أن تفتات في رعية و لا تخاطر إلا بوثيقة و في يديك مال من مال الله [تعالى‏] عز و جل و أنت من خزانه حتى تسلمه إلي و لعلي ألا أكون شر ولاتك لك و السلام‏

6 و من كتاب له ع إلى معاوية

إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان على ما بايعوهم‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 367

عليه فلم يكن للشاهد أن يختار و لا للغائب أن يرد و إنما الشورى للمهاجرين و الأنصار فإن اجتمعوا على رجل و سموه إماما كان ذلك لله رضا فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين و ولاه الله ما تولى و لعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان و لتعلمن أني كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنى فتجن ما بدا لك و السلام‏

7 و من كتاب منه ع إليه أيضا

أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصلة و رسالة محبرة نمقتها بضلالك و أمضيتها بسوء رأيك و كتاب امرئ ليس له بصر يهديه و لا قائد يرشده قد دعاه الهوى فأجابه و قاده الضلال فاتبعه فهجر لاغطا و ضل خابطا

و [من هذا الكتاب‏] منه‏

لأنها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر و لا يستأنف فيها الخيار الخارج منها طاعن و المروي فيها مداهن‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 368

8 و من كتاب له ع إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية

أما بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل و خذه بالأمر الجزم ثم خيره بين حرب مجلية أو سلم مخزية فإن اختار الحرب فانبذ إليه و إن اختار السلم فخذ بيعته و السلام‏

9 و من كتاب له ع إلى معاوية

فأراد قومنا قتل نبينا و اجتياح أصلنا و هموا بنا الهموم و فعلوا بنا الأفاعيل و منعونا العذب و أحلسونا الخوف و اضطرونا إلى جبل وعر و أوقدوا لنا نار الحرب فعزم الله لنا على الذب عن حوزته و الرمي من وراء [حومته‏] حرمته مؤمننا يبغي بذلك الأجر و كافرنا يحامي عن الأصل و من أسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه أو عشيرة تقوم دونه فهو من القتل بمكان أمن و كان رسول الله ص إذا احمر البأس-

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 369

و أحجم الناس قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه حر السيوف و الأسنة فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر و قتل حمزة يوم أحد و قتل جعفر يوم مؤتة و أراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة و لكن آجالهم عجلت و منيته [أخرت‏] أجلت فيا عجبا للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي و لم تكن له كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثلها إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه و لا أظن الله يعرفه و الحمد لله على كل حال و أما ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك فإني نظرت في هذا الأمر فلم أره يسعني دفعهم إليك و لا إلى غيرك و لعمري لئن لم تنزع عن غيك و شقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك طلبهم في بر و لا بحر و لا جبل 48 و لا سهل إلا أنه طلب يسوءك وجدانه و زور لا يسرك لقيانه و السلام لأهله‏

10 و من كتاب له ع [إلى معاوية] إليه أيضا

و كيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزينتها و خدعت بلذتها دعتك فأجبتها

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 370

و قادتك فاتبعتها و أمرتك فأطعتها و إنه يوشك أن يقفك واقف على ما\* لا ينجيك منه [منج‏] مجن فاقعس عن هذا الأمر و خذ أهبة الحساب و شمر لما قد نزل بك و لا تمكن الغواة من سمعك و إلا تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك فإنك مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه و بلغ فيك أمله و جرى منك مجرى الروح و الدم و متى كنتم يا معاوية ساسة الرعية و ولاة أمر الأمة بغير قدم سابق و لا شرف باسق و نعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء و أحذرك أن تكون متماديا في غرة الأمنية مختلف العلانية و السريرة و قد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانبا و اخرج إلي و أعف الفريقين من القتال لتعلم أينا المرين على قلبه و المغطى على بصره فأنا أبو حسن قاتل جدك و أخيك و خالك شدخا يوم بدر و ذلك السيف معي و بذلك القلب ألقى عدوي ما استبدلت دينا و لا استحدثت نبيا و إني لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين و دخلتم فيه مكرهين و زعمت أنك جئت ثائرا بدم عثمان و لقد علمت حيث‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 371

وقع دم عثمان فاطلبه 80 من هناك إن كنت طالبا فكأني قد رأيتك تضج من الحرب إذا عضتك ضجيج الجمال بالأثقال و كأني بجماعتك تدعوني جزعا من الضرب المتتابع و القضاء الواقع و مصارع بعد مصارع إلى كتاب الله و هي كافرة جاحدة أو مبايعة حائدة

11 و من وصية له ع وصى بها جيشا بعثه إلى العدو

فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الأشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كيما يكون لكم ردءا و دونكم مردا و لتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين و اجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال و مناكب الهضاب لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن و اعلموا أن مقدمة القوم عيونهم و عيون المقدمة طلائعهم و إياكم و التفرق فإذا نزلتم فانزلوا جميعا و إذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا و إذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة و لا تذوقوا النوم إلا غرارا أو مضمضة

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 372

12 و من وصية له ع وصى بها معقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له‏

اتق الله الذي لا بد لك من لقائه و لا منتهى لك دونه و لا تقاتلن إلا من قاتلك و سر البردين و غور بالناس و رفه في السير و لا تسر أول الليل فإن الله جعله سكنا و قدره مقاما لا ظعنا فأرح فيه بدنك و روح ظهرك فإذا وقفت حين ينبطح السحر أو حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله فإذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطا و لا تدن من القوم دنو من يريد أن ينشب الحرب و لا تباعد عنهم تباعد من يهاب البأس حتى يأتيك أمري و لا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم و الإعذار إليهم‏

13 و من كتاب له ع إلى أميرين من أمراء جيشه‏

و قد أمرت عليكما و على من في حيزكما مالك بن الحارث الأشتر فاسمعا له و أطيعا و اجعلاه درعا و مجنا فإنه‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 373

ممن لا يخاف وهنه و لا سقطته و لا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم و لا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل‏

14 و من وصية له ع لعسكره [بصفين قبل لقاء العدو] قبل لقاء العدو بصفين‏

لا [تقاتلونهم‏] تقاتلوهم حتى يبدءوكم فإنكم بحمد الله على حجة و ترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا و لا تصيبوا معورا و لا تجهزوا على جريح و لا تهيجوا النساء بأذى و إن شتمن أعراضكم و سببن أمراءكم فإنهن ضعيفات القوى و الأنفس و العقول إن كنا لنؤمر بالكف عنهن و إنهن لمشركات و إن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعير بها و عقبه من بعده‏

15 و من دعاء له ع كان ع يقول إذا لقي العدو محاربا

اللهم إليك أفضت القلوب و مدت الأعناق و شخصت الأبصار و نقلت الأقدام و أنضيت الأبدان اللهم قد صرح‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 374

مكنون الشنآن و جاشت مراجل الأضغان اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا و كثرة عدونا و تشتت أهوائنا- ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين‏

16 و كان يقول ع لأصحابه عند الحرب‏

لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة و لا جولة بعدها حملة و أعطوا السيوف حقوقها و [وطنوا] وطئوا للجنوب مصارعها و اذمروا أنفسكم على الطعن الدعسي و الضرب الطلحفي و أميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل- [و] فو الذي فلق الحبة و برأ النسمة ما أسلموا و لكن استسلموا و أسروا الكفر فلما وجدوا أعوانا عليه أظهروه‏

17 و من كتاب له ع إلى معاوية جوابا عن كتاب منه إليه‏

و أما طلبك إلي الشام فإني لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس و أما قولك إن الحرب قد أكلت العرب إلا حشاشات أنفس بقيت ألا و من أكله الحق فإلى الجنة و من أكله الباطل فإلى النار و أما

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 375

استواؤنا في الحرب و الرجال فلست بأمضى على الشك مني على اليقين و ليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة و أما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن و لكن ليس أمية كهاشم و لا حرب كعبد المطلب و لا أبو سفيان كأبي طالب و لا المهاجر كالطليق و لا الصريح كاللصيق و لا المحق كالمبطل و لا المؤمن كالمدغل و لبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم و في أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز و نعشنا بها الذليل و لما أدخل الله العرب في دينه أفواجا و أسلمت له هذه الأمة طوعا و كرها كنتم ممن دخل في الدين إما رغبة و إما رهبة على حين فاز أهل السبق بسبقهم و ذهب المهاجرون الأولون بفضلهم فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا و لا على نفسك سبيلا و السلام‏

18 و من كتاب له ع إلى عبد الله بن عباس و هو عامله على البصرة

و اعلم أن البصرة مهبط إبليس و مغرس الفتن فحادث أهلها بالإحسان إليهم و احلل عقدة الخوف عن قلوبهم‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 376

و قد بلغني تنمرك لبني تميم و غلظتك عليهم و إن بني تميم لم يغب لهم نجم إلا طلع لهم آخر و إنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية و لا إسلام و إن لهم بنا رحما ماسة و قرابة خاصة نحن مأجورون على صلتها و مأزورون على قطيعتها فاربع أبا العباس رحمك الله فيما جرى على [يدك و لسانك‏] لسانك و يدك من خير و شر فإنا شريكان في ذلك و كن عند صالح ظني بك و لا يفيلن رأيي فيك و السلام‏

19 و من كتاب له ع إلى بعض عماله‏

أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة و قسوة و احتقارا و جفوة و نظرت فلم أرهم أهلا لأن يدنوا لشركهم و لا أن يقصوا و يجفوا لعهدهم فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة و داول لهم بين القسوة و الرأفة و امزج لهم بين التقريب و الإدناء و الإبعاد و الإقصاء إن شاء الله‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 377

20 و من كتاب له ع إلى زياد ابن أبيه و هو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة و عبد الله عامل أمير المؤمنين ع يومئذ عليها و على كور الأهواز و فارس و كرمان و غيرها

و إني أقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني أنك خنت من في‏ء المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر و السلام‏

21 و من كتاب له ع إلى زياد أيضا

فدع الإسراف مقتصدا و اذكر في اليوم غدا و أمسك من المال بقدر ضرورتك و قدم الفضل ليوم حاجتك أ ترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين و أنت عنده من المتكبرين و تطمع و أنت متمرغ في النعيم [أن تمنعه‏] تمنعه الضعيف و الأرملة- [و] أن يوجب لك ثواب المتصدقين و إنما المرء مجزي بما أسلف و قادم على ما قدم و السلام‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 378

22 و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس رحمه الله تعالى و كان عبد الله يقول: «ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه و آله، كانتفاعي بهذا الكلام!»

أما بعد فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته و يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من آخرتك و ليكن أسفك على ما فاتك منها و ما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا و ما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا و ليكن همك فيما بعد الموت‏

23 و من كلام له ع قاله قبل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه الله‏

وصيتي لكم ألا تشركوا بالله شيئا و محمد ص فلا تضيعوا سنته أقيموا هذين العمودين و أوقدوا هذين المصباحين و خلاكم ذم أنا بالأمس صاحبكم و اليوم عبرة لكم و غدا مفارقكم إن أبق فأنا ولي دمي و إن أفن فالفناء ميعادي و إن أعف فالعفو لي قربة و هو لكم حسنة فاعفوا أ لا تحبون أن يغفر الله لكم‏ و الله ما فجأني من الموت وارد كرهته و لا طالع أنكرته و ما

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 379

كنت إلا كقارب ورد و طالب وجد- و ما عند الله خير للأبرار

[قال [الرضي رحمه الله تعالى‏] السيد الشريف رضي الله عنه أقول و قد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدم من الخطب إلا أن فيه هاهنا زيادة أوجبت تكريره‏]

24 و من وصية له ع بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين‏

هذا ما أمر به عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين في ماله ابتغاء وجه الله ليولجه به الجنة و يعطيه به الأمنة

: منها

فإنه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف و ينفق منه بالمعروف فإن حدث بحسن حدث و حسين حي قام بالأمر بعده و أصدره مصدره و إن لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي و إني إنما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله و قربة إلى رسول الله ص و تكريما لحرمته و تشريفا لوصلته و يشترط على الذي يجعله إليه أن يترك المال على أصوله و ينفق من ثمره حيث أمر به و هدي له و ألا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى ودية حتى تشكل أرضها غراسا

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 380

148 و من كان من إمائي اللاتي أطوف عليهن لها ولد أو هي حامل فتمسك على ولدها و هي من حظه فإن مات ولدها و هي حية فهي عتيقة قد أفرج عنها الرق و حررها العتق‏

[قال [السيد الرضي الله تعالى‏] الشريف قوله ع في هذه الوصية و ألا يبيع من نخلها ودية الودية الفسيلة و جمعها ودي. و قوله ع حتى تشكل أرضها غراسا هو من أفصح الكلام و المراد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه أمرها و يحسبها غيرها]

25 و من وصية له ع كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات‏

[قال الشريف: و إنما ذكرنا هنا جملا ليعلم بها أنه عليه السلام كان يقيم عماد الحق، و يشرع أمثلة العدل، في صغير الأمور و كبيرها و دقيقها و جليلها.]

انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له و لا تروعن مسلما و لا تجتازن عليه كارها و لا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ثم امض إليهم بالسكينة و الوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم و لا تخدج بالتحية لهم ثم تقول عباد الله أرسلني إليكم ولي الله و خليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه فإن قال قائل لا فلا تراجعه و إن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 381

تعسفه أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه فإن أكثرها له فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه و لا عنيف به و لا تنفرن بهيمة و لا تفزعنها و لا تسوأن صاحبها فيها و اصدع المال صدعين ثم خيره فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله فاقبض حق الله منه- 152 فإن استقالك فأقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت أولا حتى تأخذ حق الله في ماله و لا تأخذن عودا و لا هرمة و لا مكسورة و لا مهلوسة و لا ذات عوار و لا تأمنن عليها إلا من تثق بدينه رافقا بمال المسلمين حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم و لا توكل بها إلا ناصحا شفيقا و أمينا حفيظا غير معنف و لا مجحف و لا ملغب و لا متعب ثم احدر إلينا ما اجتمع عندك نصيره حيث أمر الله به فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة و بين فصيلها و لا يمصر لبنها فيضر [فيضر] ذلك بولدها و لا يجهدنها ركوبا و ليعدل بين صواحباتها في ذلك و بينها و ليرفه على اللاغب و ليستأن بالنقب و الظالع و ليوردها ما تمر به من الغدر و لا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطرق و ليروحها في‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 382

الساعات و ليمهلها عند النطاف و الأعشاب حتى تأتينا بإذن الله بدنا منقيات غير متعبات و لا مجهودات لنقسمها على كتاب الله و سنة نبيه ص فإن ذلك أعظم لأجرك و أقرب لرشدك إن شاء الله‏

26 و من عهد له ع إلى بعض عماله و قد بعثه على الصدقة

[آمره‏] أمره بتقوى الله في سرائر أمره و خفيات عمله حيث لا [شاهد] شهيد غيره و لا وكيل دونه و [آمره‏] أمره ألا يعمل بشي‏ء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسر و من لم يختلف سره و علانيته و فعله و مقالته فقد أدى الأمانة و أخلص العبادة و [آمره‏] أمره ألا يجبههم و لا يعضههم و لا يرغب عنهم تفضلا بالإمارة عليهم فإنهم الإخوان في الدين و الأعوان على استخراج الحقوق و إن لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا و حقا معلوما شركاء أهل مسكنة و ضعفاء ذوي فاقة و إنا موفوك حقك فوفهم حقوقهم و إلا تفعل فإنك من أكثر الناس خصوما يوم القيامة

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 383

و بؤسى لمن خصمه عند الله الفقراء و المساكين و السائلون و المدفوعون و الغارمون و ابن السبيل و من استهان بالأمانة و رتع في الخيانة و لم ينزه نفسه و دينه عنها فقد أحل بنفسه الذل و الخزي في الدنيا و هو في الآخرة أذل و أخزى و إن أعظم الخيانة خيانة الأمة و أفظع الغش غش الأئمة و السلام‏

27 و من عهد له ع إلى محمد بن أبي بكر رضي الله عنه حين قلده مصر

فاخفض لهم جناحك و ألن لهم جانبك و ابسط لهم وجهك و آس بينهم في اللحظة و النظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم و لا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم فإن الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم و الكبيرة و الظاهرة و المستورة فإن يعذب فأنتم أظلم و إن يعف فهو أكرم و اعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا و آجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم و لم [يشاركهم أهل‏] يشاركوا أهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما أكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون و أخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ و المتجر الرابح أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم و تيقنوا أنهم‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 384

جيران الله غدا في آخرتهم لا ترد لهم دعوة و لا [ينقف‏] ينقص لهم نصيب من لذة فاحذروا عباد الله الموت و قربه و أعدوا له عدته فإنه يأتي بأمر عظيم و خطب جليل بخير لا يكون معه شر أبدا أو شر لا يكون معه خير أبدا فمن أقرب إلى الجنة من عاملها و من أقرب إلى النار من عاملها و أنتم طرداء الموت إن أقمتم له أخذكم و إن فررتم منه أدرككم و هو ألزم لكم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم و الدنيا تطوى من خلفكم- 164 فاحذروا نارا قعرها بعيد و حرها شديد و عذابها جديد دار ليس فيها رحمة و لا تسمع فيها دعوة و لا تفرج فيها كربة و إن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله و أن يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه و إن أحسن الناس ظنا بالله أشدهم خوفا لله و اعلم يا محمد بن أبي بكر أني قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر فأنت محقوق أن تخالف على نفسك و أن تنافح عن دينك و لو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر و لا تسخط الله برضا أحد من خلقه فإن في الله خلفا من غيره و ليس من الله خلف في غيره صل الصلاة لوقتها المؤقت لها و لا تعجل وقتها لفراغ و لا

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 385

تؤخرها عن وقتها لاشتغال و اعلم أن كل شي‏ء من عملك تبع لصلاتك‏

و [من هذا العهد] منه‏

فإنه لا سواء إمام الهدى و إمام الردى و ولي النبي و عدو النبي و لقد قال لي رسول الله ص إني لا أخاف على أمتي مؤمنا و لا مشركا أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه و أما المشرك فيقمعه الله بشركه و لكني أخاف عليكم كل منافق الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون و يفعل ما تنكرون‏

28 و من كتاب له ع إلى معاوية جوابا

[قال الشريف: و هو من محاسن الكتب‏]

أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمدا ص لدينه و تأييده إياه لمن أيده من أصحابه فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله تعالى عندنا و نعمته علينا في نبينا فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر أو داعي مسدده إلى النضال و زعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان و فلان فذكرت أمرا إن تم اعتزلك‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 386

كله و إن نقص لم يلحقك ثلمه و ما أنت و الفاضل و المفضول و السائس و المسوس و ما للطلقاء و أبناء الطلقاء و التمييز بين المهاجرين الأولين و ترتيب درجاتهم و تعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح ليس منها و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها أ لا تربع أيها الإنسان على ظلعك و تعرف قصور ذرعك و تتأخر حيث أخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب و لا ظفر الظافر- [فإنك‏] و إنك لذهاب في التيه رواغ عن القصد أ لا ترى غير مخبر لك و لكن بنعمة الله أحدث أن قوما استشهدوا في سبيل الله تعالى من المهاجرين و الأنصار و لكل فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء و خصه رسول الله ص بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه- 182 أ و لا ترى أن قوما قطعت أيديهم في سبيل الله و لكل فضل حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة و ذو الجناحين و لو لا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين و لا تمجها آذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية فإنا صنائع ربنا و الناس بعد صنائع لنا لم يمنعنا قديم عزنا و لا عادي طولنا على قومك‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 387

أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا و أنكحنا فعل الأكفاء و لستم هناك و أنى يكون ذلك [كذلك‏] و منا النبي و منكم المكذب و منا أسد الله و منكم أسد الأحلاف و منا سيدا شباب أهل الجنة و منكم صبية النار و منا خير نساء العالمين و منكم حمالة الحطب في كثير مما لنا و عليكم فإسلامنا [ما] قد سمع و جاهليتنا لا تدفع و كتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا و هو قوله سبحانه و تعالى- و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله‏ و قوله تعالى‏ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه و هذا النبي و الذين آمنوا و الله ولي المؤمنين‏ فنحن مرة أولى بالقرابة و تارة أولى بالطاعة و لما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله ص فلجوا عليهم فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم و إن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم و زعمت أني لكل الخلفاء حسدت و على كلهم بغيت فإن يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر إليك- 183

|  |
| --- |
| و تلك شكاة ظاهر عنك عارها |

و قلت إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 388

و لعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت و أن تفضح فافتضحت و ما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه و لا مرتابا بيقينه و هذه حجتي إلى غيرك قصدها و لكني أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها ثم ذكرت ما كان من أمري و أمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه فأينا كان أعدى له و أهدى إلى مقاتله أ من بذل له نصرته فاستقعده و استكفه- [أمن‏] أم من استنصره فتراخى عنه و بث المنون إليه حتى أتى قدره عليه كلا و الله ل قد يعلم الله المعوقين منكم و القائلين لإخوانهم هلم إلينا و لا يأتون البأس إلا قليلا.

و ما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثا فإن كان الذنب إليه إرشادي و هدايتي له فرب ملوم لا ذنب له-

|  |
| --- |
| و قد يستفيد الظنة المتنصح‏ |

و ما أردت‏ إلا الإصلاح ما استطعت و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب‏ و ذكرت أنه ليس لي و لأصحابي عندك إلا السيف فلقد أضحكت‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 389

بعد استعبار متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين و بالسيف مخوفين- 184

|  |
| --- |
| فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل‏ |

فسيطلبك من تطلب و يقرب منك ما تستبعد و أنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم بإحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم و قد صحبتهم ذرية بدرية و سيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في أخيك و خالك و جدك و أهلك- و ما هي من الظالمين ببعيد

29 و من كتاب له ع إلى أهل البصرة

و قد كان من انتشار حبلكم و شقاقكم ما لم تغبوا عنه فعفوت عن مجرمكم و رفعت السيف عن مدبركم و قبلت من مقبلكم فإن خطت بكم الأمور المردية و سفه الآراء الجائرة إلى منابذتي و خلافي فها أنا ذا قد قربت جيادي و رحلت ركابي و لئن ألجأتموني إلى المسير

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 390

إليكم لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلا كلعقة لاعق مع أني عارف لذي الطاعة منكم فضله و لذي النصيحة حقه غير متجاوز متهما إلى بري و لا ناكثا إلى وفي‏

30 و من كتاب له ع إلى معاوية

فاتق الله فيما لديك و انظر في حقه عليك و ارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالته فإن للطاعة أعلاما واضحة و سبلا نيرة و محجة نهجة و غاية مطلبة يردها الأكياس و يخالفها الأنكاس من نكب عنها جار عن الحق و خبط في التيه و غير الله نعمته و أحل به نقمته فنفسك نفسك فقد بين الله لك سبيلك و حيث تناهت بك أمورك فقد أجريت إلى غاية خسر و محلة كفر فإن نفسك قد أولجتك شرا و أقحمتك غيا و أوردتك المهالك و أوعرت عليك المسالك‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 391

31 و من [وصيته‏] وصية له ع للحسن بن علي ع كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين‏

من الوالد الفان المقر للزمان المدبر العمر المستسلم [للدهر الذام‏] للدنيا الساكن مساكن الموتى و الظاعن عنها غدا إلى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض الأسقام و رهينة الأيام و رمية المصائب و عبد الدنيا و تاجر الغرور و غريم المنايا و أسير الموت و حليف الهموم و قرين الأحزان و نصب الآفات و صريع الشهوات و خليفة الأموات أما بعد فإن فيما تبينت من إدبار الدنيا عني و جموح الدهر علي و إقبال الآخرة إلي ما يزعني عن ذكر من سواي و الاهتمام بما ورائي غير أني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي- [فصدقني‏] فصدفني رأيي و صرفني عن هواي و صرح لي محض أمري فأفضى بي إلى جد لا يكون فيه لعب و صدق لا يشوبه كذب و وجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كأن شيئا لو أصابك أصابني و كأن الموت لو أتاك أتاني فعناني‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 392

من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي فكتبت إليك كتابي [هذا] مستظهرا به إن أنا بقيت لك أو فنيت فإني أوصيك بتقوى الله أي بني و لزوم أمره و عمارة قلبك بذكره و الاعتصام بحبله و أي سبب أوثق من سبب بينك و بين الله إن أنت أخذت به أحي قلبك بالموعظة و أمته بالزهادة و قوه باليقين و نوره بالحكمة و ذلله بذكر الموت و قرره بالفناء و بصره فجائع الدنيا و حذره صولة الدهر و فحش تقلب الليالي و الأيام و اعرض عليه أخبار الماضين و ذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين و سر في ديارهم و آثارهم فانظر فيما فعلوا و عما انتقلوا و أين حلوا و نزلوا فإنك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة و حلوا [دار] ديار الغربة و كأنك عن قليل قد صرت كأحدهم- 63 فأصلح مثواك و لا تبع آخرتك بدنياك و دع القول فيما لا تعرف و الخطاب فيما لم تكلف و أمسك عن طريق إذا خفت ضلالته فإن الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال و أمر بالمعروف تكن من أهله و أنكر المنكر بيدك و لسانك و باين من فعله بجهدك و جاهد في الله حق جهاده و لا تأخذك في الله‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 393

لومة لائم و خض الغمرات [إلى الحق‏] للحق حيث كان و تفقه في الدين و عود نفسك [الصبر] التصبر على المكروه و نعم الخلق التصبر في الحق و ألجئ نفسك في أمورك كلها إلى إلهك فإنك تلجئها إلى كهف حريز و مانع عزيز و أخلص في المسألة لربك فإن بيده العطاء و الحرمان و أكثر الاستخارة و تفهم وصيتي و لا تذهبن عنك صفحا فإن خير القول ما نفع و اعلم أنه لا خير في علم لا ينفع و لا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه أي بني إني لما رأيتني قد بلغت سنا و رأيتني أزداد وهنا بادرت بوصيتي إليك و أوردت خصالا منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي أو أن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى و فتن الدنيا فتكون كالصعب النفور و إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شي‏ء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك و يشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته و تجربته فتكون قد كفيت مئونة الطلب و عوفيت من علاج التجربة فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه و استبان لك ما ربما أظلم علينا منه أي بني إني و إن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 394

في أعمالهم و فكرت في أخبارهم و سرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كأني بما انتهى إلي من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره و نفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر [جليله‏] نخيله و توخيت لك 68 جميله و صرفت عنك مجهوله و رأيت حيث عناني من أمرك ما يعني الوالد الشفيق و أجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك و أنت مقبل العمر و مقتبل الدهر ذو نية سليمة و نفس صافية و أن أبتدئك بتعليم كتاب الله عز و جل و تأويله و شرائع الإسلام و أحكامه و حلاله و حرامه لا أجاوز ذلك بك إلى غيره ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم و آرائهم مثل الذي التبس عليهم فكان إحكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له أحب إلي من إسلامك إلى أمر لا آمن عليك [فيه‏] به الهلكة و رجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك و أن يهديك لقصدك فعهدت إليك وصيتي هذه و اعلم يا بني أن أحب ما أنت آخذ به إلي من وصيتي تقوى الله و الاقتصار على ما فرضه الله عليك و الأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك و الصالحون من أهل بيتك فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر و فكروا كما أنت مفكر ثم ردهم‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 395

آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا و الإمساك عما لم يكلفوا فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم و تعلم لا بتورط الشبهات و علق الخصومات و ابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإلهك و الرغبة إليه في توفيقك و ترك كل شائبة أولجتك في شبهة أو أسلمتك إلى ضلالة فإن أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع و تم رأيك فاجتمع و كان همك في ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت لك و إن [أنت‏] لم يجتمع لك ما تحب من نفسك و فراغ نظرك و فكرك- 71 فاعلم أنك إنما تخبط العشواء و تتورط الظلماء و ليس طالب الدين من خبط أو خلط و الإمساك عن ذلك أمثل فتفهم يا بني وصيتي و اعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة و أن الخالق هو المميت و أن المفني هو المعيد و أن المبتلي هو المعافي و أن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء و الابتلاء و الجزاء في المعاد أو ما شاء مما لا تعلم فإن أشكل عليك شي‏ء من ذلك فاحمله على جهالتك فإنك أول ما خلقت به جاهلا ثم علمت و ما أكثر ما تجهل من الأمر و يتحير فيه رأيك و يضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك فاعتصم بالذي‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 396

خلقك و رزقك و سواك- [فليكن‏] و ليكن له تعبدك و إليه رغبتك و منه شفقتك و اعلم يا بني أن أحدا لم ينبئ عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول ص [عليه نبينا ص‏] فارض به رائدا و إلى النجاة قائدا فإني لم آلك نصيحة و إنك لن تبلغ في النظر لنفسك و إن اجتهدت مبلغ نظري لك:

و اعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله و لرأيت آثار ملكه و سلطانه و لعرفت أفعاله و صفاته و لكنه إله واحد كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه أحد و لا يزول أبدا و لم يزل أول قبل الأشياء بلا أولية و آخر بعد الأشياء بلا نهاية عظم [أن تثبت‏] عن أن تثبت ربوبيته بإحاطة قلب أو بصر فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره و قلة مقدرته و كثرة عجزه و عظيم حاجته إلى ربه في طلب طاعته- [و الرهينة من عقوبته‏] و الخشية من عقوبته و الشفقة من سخطه فإنه لم يأمرك إلا بحسن و لم ينهك إلا عن قبيح:

يا بني إني قد أنبأتك عن الدنيا و حالها و زوالها و انتقالها و أنبأتك عن الآخرة و ما أعد لأهلها فيها و ضربت لك فيهما

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 397

الأمثال لتعتبر بها و تحذو عليها إنما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأموا منزلا خصيبا و جنابا مريعا فاحتملوا وعثاء الطريق و فراق الصديق و خشونة السفر و جشوبة المطعم ليأتوا سعة دارهم و منزل قرارهم فليس يجدون لشي‏ء من ذلك ألما و لا يرون نفقة فيه مغرما و لا شي‏ء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم- 83 و أدناهم [إلى‏] من محلتهم و مثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم إلى منزل جديب فليس شي‏ء أكره إليهم و لا أفظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجمون عليه و يصيرون إليه يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك و بين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك و اكره له ما تكره لها و لا تظلم كما لا تحب أن تظلم و أحسن كما تحب أن يحسن إليك و استقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك و ارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك و لا تقل ما لا تعلم و إن قل ما تعلم و لا تقل ما لا تحب أن يقال لك و اعلم أن الإعجاب ضد الصواب و آفة الألباب فاسع‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 398

في كدحك و لا تكن خازنا لغيرك و إذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك:

و اعلم أن أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة و مشقة شديدة و أنه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد و قدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك و إذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غدا حيث تحتاج إليه فاغتنمه و حمله إياه و أكثر من تزويده و أنت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده و اغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك و اعلم أن أمامك عقبة كئودا المخف فيها أحسن حالا من المثقل و المبطئ عليها أقبح [أمرا] حالا من المسرع و أن [مهبطها بك‏] مهبطك بها لا محالة إما على جنة أو على نار فارتد لنفسك قبل نزولك و وطئ المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعتب و لا إلى الدنيا منصرف و اعلم أن الذي بيده خزائن السماوات و الأرض قد أذن لك في الدعاء و تكفل لك بالإجابة و أمرك أن تسأله ليعطيك و تسترحمه ليرحمك-

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 399

و لم يجعل [بينه و بينك‏] بينك و بينه من يحجبك عنه و لم يلجئك إلى من يشفع لك إليه- 87 و لم يمنعك إن أسأت من التوبة و لم يعاجلك بالنقمة و لم يعيرك بالإنابة و لم يفضحك حيث [تعرضت للفضيحة] الفضيحة بك أولى و لم يشدد عليك في قبول الإنابة و لم يناقشك بالجريمة و لم يؤيسك من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة و حسب سيئتك واحدة و حسب حسنتك عشرا و فتح لك باب المتاب و باب الاستعتاب فإذا ناديته سمع نداك و إذا ناجيته علم نجواك فأفضيت إليه بحاجتك و أبثثته ذات نفسك و شكوت إليه همومك و استكشفته كروبك و استعنته على أمورك و سألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زيادة الأعمار و صحة الأبدان و سعة الأرزاق ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته و استمطرت شآبيب رحمته فلا [يقنطنك‏] يقنطنك إبطاء إجابته فإن العطية على قدر النية و ربما أخرت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل و أجزل لعطاء الآمل و ربما سألت الشي‏ء فلا [تعطاه‏] تؤتاه و أوتيت خيرا منه عاجلا أو آجلا أو صرف عنك لما هو خير لك فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته فلتكن مسألتك فيما يبقى‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 400

لك جماله و ينفى عنك وباله فالمال لا يبقى لك و لا تبقى له و اعلم يا بني أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا و للفناء لا للبقاء و للموت لا للحياة و أنك في [منزل‏] قلعة و دار بلغة و طريق إلى الآخرة و أنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه و لا يفوته طالبه و لا بد أنه مدركه فكن منه على حذر أن يدركك و أنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك و بين ذلك فإذا أنت قد أهلكت نفسك‏

ذكر الموت‏

يا بني أكثر من ذكر الموت و ذكر ما تهجم عليه و تفضي بعد الموت إليه حتى يأتيك و قد أخذت منه حذرك و شددت له أزرك و لا يأتيك بغتة فيبهرك و إياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها و تكالبهم عليها فقد نبأك الله عنها و [نعتت لك نفسها] نعت هي لك عن نفسها و تكشفت لك عن مساويها فإنما أهلها كلاب عاوية و سباع ضارية يهر بعضها على بعض و يأكل عزيزها ذليلها و يقهر كبيرها صغيرها- 90 نعم معقلة و أخرى مهملة قد أضلت عقولها و ركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث-

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 401

ليس لها راع يقيمها و لا مسيم يسيمها سلكت بهم الدنيا طريق العمى و أخذت بأبصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها و غرقوا في نعمتها و اتخذوها ربا فلعبت بهم و لعبوا بها و نسوا ما وراءها

الترفق في الطلب‏

رويدا يسفر الظلام كأن قد وردت الأظعان يوشك من أسرع أن يلحق و اعلم يا بني أن من كانت مطيته الليل و النهار فإنه يسار به و إن كان واقفا و يقطع المسافة و إن كان مقيما وادعا و اعلم يقينا أنك لن تبلغ أملك و لن تعدو أجلك و أنك في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب و أجمل في المكتسب فإنه رب طلب قد جر إلى حرب و ليس كل طالب بمرزوق و لا كل مجمل بمحروم و أكرم نفسك عن كل دنية و إن ساقتك إلى الرغائب فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا و لا تكن عبد غيرك و قد جعلك الله حرا و ما خير خير لا ينال إلا بشر و يسر لا ينال إلا بعسر و إياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 402

الهلكة و إن استطعت ألا يكون بينك و بين الله ذو نعمة فافعل فإنك مدرك قسمك و آخذ سهمك و إن اليسير من الله سبحانه [أكرم و أعظم‏] أعظم و أكرم من الكثير من خلقه و إن كان كل منه‏

وصايا شتى‏

و تلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك و حفظ ما في الوعاء بشد الوكاء و حفظ ما في يديك أحب إلي من طلب ما في يدي غيرك و مرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس و الحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور و المرء أحفظ لسره و رب ساع فيما يضره- 97 من أكثر أهجر و من تفكر أبصر قارن أهل الخير تكن منهم و باين أهل الشر تبن عنهم بئس الطعام الحرام و ظلم الضعيف أفحش الظلم إذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا ربما كان الدواء داء و الداء دواء و ربما نصح غير الناصح و غش المستنصح و إياك و الاتكال على المنى فإنها بضائع النوكى و العقل حفظ التجارب و خير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة قبل أن تكون غصة ليس كل طالب يصيب و لا كل غائب يئوب و من الفساد إضاعة الزاد و مفسدة المعاد و لكل أمر عاقبة سوف يأتيك ما قدر لك التاجر مخاطر و رب يسير أنمى من كثير لا خير في‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 403

معين [مهين‏] مهين و لا في صديق ظنين ساهل الدهر ما ذل لك قعوده و لا تخاطر بشي‏ء رجاء أكثر منه و إياك أن تجمح بك مطية اللجاج احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصلة و عند صدوده على اللطف و المقاربة و عند جموده على البذل و عند تباعده على الدنو و عند شدته على اللين و عند جرمه على العذر حتى كأنك له عبد و كأنه ذو نعمة عليك- 105 و إياك أن تضع ذلك في غير موضعه أو أن تفعله بغير أهله لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك و امحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة و تجرع الغيظ فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة و لا ألذ مغبة و لن لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين لك و خذ على عدوك بالفضل فإنه [أحد] أحلى الظفرين و إن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إن بدا له ذلك يوما ما و من ظن بك خيرا فصدق ظنه و لا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك و بينه فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه و لا يكن أهلك أشقى الخلق بك و لا ترغبن فيمن زهد عنك و لا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته و لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان و لا يكبرن عليك‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 404

ظلم من ظلمك فإنه يسعى في مضرته و نفعك و ليس جزاء من سرك أن تسوءه و اعلم يا بني أن الرزق رزقان رزق تطلبه و رزق يطلبك فإن أنت لم تأته أتاك ما أقبح الخضوع عند الحاجة و الجفاء عند الغنى إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك و إن كنت جازعا على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل إليك- 113 استدل على ما لم يكن بما قد كان فإن الأمور أشباه و لا تكونن ممن لا تنفعه العظة إلا إذا بالغت في إيلامه فإن العاقل يتعظ بالآداب و البهائم لا تتعظ إلا بالضرب. اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر و حسن اليقين من ترك القصد جار و الصاحب مناسب و الصديق من صدق غيبه و الهوى شريك العمى و رب بعيد أقرب من قريب و قريب أبعد من بعيد و الغريب من لم يكن له حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه و من اقتصر على قدره كان أبقى له و أوثق سبب أخذت به سبب بينك و بين الله سبحانه و من لم يبالك فهو عدوك قد يكون اليأس إدراكا إذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة تظهر و لا كل فرصة تصاب و ربما أخطأ البصير قصده و أصاب الأعمى رشده أخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته و قطيعة الجاهل تعدل صلة

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 405

العاقل من أمن الزمان خانه و من أعظمه أهانه ليس كل من رمى أصاب إذا تغير السلطان تغير الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق و عن الجار قبل الدار إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا و إن حكيت ذلك عن غيرك‏

122

الرأي في المرأة

و إياك و مشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن و عزمهن إلى وهن و اكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن فإن شدة الحجاب أبقى عليهن و ليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن و إن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل و لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة و ليست بقهرمانة و لا تعد بكرامتها نفسها و لا تطمعها في أن تشفع لغيرها و إياك و التغاير في غير موضع غيرة فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم و البريئة إلى الريب و اجعل لكل إنسان من خدمك عملا تأخذه به فإنه أحرى ألا يتواكلوا في خدمتك و أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير و أصلك الذي إليه تصير و يدك التي بها تصول‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 406

دعاء

استودع الله دينك و دنياك و اسأله خير القضاء لك في العاجلة و الآجلة و الدنيا و الآخرة و السلام‏

32 و من كتاب له ع إلى معاوية

و أرديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك و ألقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات و تتلاطم بهم الشبهات- [فجاروا] فجازوا عن وجهتهم و نكصوا على أعقابهم و تولوا على أدبارهم و عولوا على أحسابهم إلا من فاء من أهل البصائر فإنهم فارقوك بعد معرفتك و هربوا إلى الله من موازرتك إذ حملتهم على الصعب و عدلت بهم عن القصد فاتق الله يا معاوية في نفسك و جاذب الشيطان قيادك فإن الدنيا منقطعة عنك و الآخرة قريبة منك و السلام‏

33 و من كتاب له ع إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكة

أما بعد فإن عيني بالمغرب كتب إلي يعلمني أنه‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 407

وجه إلى الموسم أناس من أهل الشام العمي القلوب الصم الأسماع الكمه الأبصار الذين يلبسون‏ الحق بالباطل‏ و يطيعون المخلوق في معصية الخالق و يحتلبون الدنيا درها بالدين و يشترون عاجلها بآجل الأبرار المتقين و لن يفوز بالخير إلا عامله و لا يجزى جزاء الشر إلا فاعله فأقم على ما في يديك قيام الحازم [الطبيب‏] الصليب و الناصح اللبيب التابع لسلطانه المطيع لإمامه و إياك و ما يعتذر منه و لا تكن عند النعماء بطرا و لا عند البأساء فشلا و السلام‏

34 و من كتاب له ع إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر، ثم توفي الأشتر في توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها

أما بعد فقد بلغني موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك و إني لم أفعل ذلك استبطاء لك في الجهد و لا ازديادا لك في الجد و لو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو أيسر عليك مئونة و أعجب إليك ولاية إن الرجل الذي كنت وليته أمر مصر كان رجلا لنا ناصحا و على عدونا شديدا ناقما فرحمه الله فلقد استكمل أيامه و لاقى‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 408

حمامه و نحن عنه راضون أولاه الله رضوانه و ضاعف الثواب له فأصحر لعدوك و امض على بصيرتك و شمر لحرب من حاربك و ادع إلى سبيل ربك‏ و أكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمك و يعنك على ما ينزل بك إن شاء الله‏

35 و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر

أما بعد فإن مصر قد افتتحت و محمد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه ولدا ناصحا و عاملا كادحا و سيفا قاطعا و ركنا دافعا و قد كنت حثثت الناس على لحاقه و أمرتهم بغياثه قبل الوقعة و دعوتهم سرا و جهرا و عودا و بدءا فمنهم الآتي كارها و منهم المعتل كاذبا و منهم القاعد خاذلا أسأل الله تعالى أن يجعل لي منهم فرجا عاجلا فوالله لو لا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة و توطيني نفسي على المنية لأحببت ألا [أبقى‏] ألقى مع هؤلاء يوما واحدا و لا ألتقي بهم أبدا

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 409

36 و من كتاب له ع إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء و هو جواب كتاب كتبه إليه عقيل‏

فسرحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هاربا و نكص نادما فلحقوه ببعض الطريق و قد طفلت الشمس للإياب فاقتتلوا شيئا كلا و لا فما كان إلا كموقف ساعة حتى نجا جريضا بعد ما أخذ منه بالمخنق و لم يبق [معه‏] منه غير الرمق فلأيا بلأي ما نجا فدع عنك قريشا و تركاضهم في الضلال و تجوالهم في الشقاق و جماحهم في التيه فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله ص قبلي فجزت قريشا عني الجوازي فقد قطعوا رحمي و سلبوني سلطان ابن أمي و أما ما سألت عنه من رأيي في القتال فإن رأيي قتال المحلين حتى ألقى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة و لا تفرقهم عني وحشة و لا تحسبن ابن أبيك و لو أسلمه الناس متضرعا متخشعا و لا مقرا للضيم واهنا و لا سلس الزمام‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 410

للقائد و لا وطي‏ء الظهر للراكب [المقتعد] المتقعد و لكنه كما قال أخو بني سليم‏

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| فإن تسأليني كيف أنت فإنني‏ |  | صبور على ريب الزمان صليب‏ |
| يعز علي أن ترى بي كآبة |  | فيشمت عاد أو يساء حبيب‏ |
|  |  |  |

37 و من كتاب له ع إلى معاوية

فسبحان الله ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة و الحيرة المتبعة مع تضييع الحقائق و اطراح الوثائق التي هي لله [تعالى‏] طلبة و على عباده حجة فأما إكثارك الحجاج على عثمان و قتلته فإنك إنما نصرت عثمان حيث كان النصر لك و خذلته حيث كان النصر له و السلام‏

38 و من كتاب له ع إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 411

عصي في أرضه و ذهب بحقه فضرب الجور سرادقه على البر و الفاجر و المقيم و الظاعن فلا معروف يستراح إليه و لا منكر يتناهى عنه أما بعد فقد بعثت إليكم عبدا من عباد الله لا ينام أيام الخوف و لا ينكل عن الأعداء ساعات الروع أشد على الفجار من حريق النار و هو مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعوا له و أطيعوا أمره فيما طابق الحق فإنه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة و لا نابي الضريبة فإن أمركم أن تنفروا فانفروا و إن أمركم أن تقيموا فأقيموا فإنه لا يقدم و لا يحجم و لا يؤخر و لا يقدم إلا عن أمري و قد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم و شدة شكيمته على عدوكم‏

39 و من كتاب له ع إلى عمرو بن العاص‏

فإنك قد جعلت دينك تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه و يسفه الحليم بخلطته فاتبعت أثره و طلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ بمخالبه و ينتظر ما يلقى إليه من فضل فريسته فأذهبت دنياك و آخرتك و لو

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 412

بالحق أخذت أدركت ما طلبت فإن [يمكن‏] يمكني الله منك و من ابن أبي سفيان أجزكما بما قدمتما و إن تعجزا و تبقيا فما أمامكما شر لكما و السلام‏

40 و من كتاب له ع إلى بعض عماله‏

أما بعد فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك و عصيت إمامك و أخزيت أمانتك بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك و أكلت ما تحت يديك فارفع إلي حسابك و اعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس و السلام‏

41 و من كتاب له ع إلى بعض عماله‏

أما بعد فإني كنت أشركتك في أمانتي و جعلتك شعاري و بطانتي و لم يكن [في أهلي رجل‏] رجل من أهلي أوثق منك في نفسي لمواساتي و موازرتي و أداء الأمانة إلي فلما رأيت الزمان على ابن عمك‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 413

قد كلب و العدو قد حرب و أمانة الناس قد خزيت و هذه الأمة قد [فتكت‏] فنكت و شغرت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين و خذلته مع الخاذلين و خنته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت و لا الأمانة أديت و كأنك لم تكن الله تريد بجهادك و كأنك لم تكن على بينة من ربك و كأنك إنما كنت تكيد هذه الأمة عن دنياهم و تنوي غرتهم عن فيئهم فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة أسرعت الكرة و عاجلت الوثبة و اختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم و أيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه كأنك لا أبا لغيرك حدرت إلى أهلك تراثك من أبيك و أمك فسبحان الله أ ما تؤمن بالمعاد أ و ما تخاف نقاش الحساب أيها المعدود كان عندنا من أولي الألباب كيف تسيغ شرابا و طعاما و أنت تعلم أنك تأكل حراما و تشرب حراما و تبتاع الإماء و تنكح النساء من أموال اليتامى و المساكين 168 و المؤمنين و المجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال و أحرز بهم هذه البلاد فاتق الله و اردد إلى هؤلاء القوم أموالهم فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرن إلى الله فيك و لأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا دخل‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 414

النار و و الله لو أن الحسن و الحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة و لا ظفرا مني بإرادة حتى آخذ الحق منهما و أزيح الباطل عن مظلمتهما و أقسم بالله رب العالمين ما يسرني أن ما أخذته من أموالهم حلال لي أتركه ميراثا لمن بعدي فضح رويدا فكأنك قد بلغت المدى و دفنت تحت الثرى و عرضت عليك أعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة و يتمنى المضيع فيه الرجعة و لات حين مناص‏

42 و من كتاب له ع إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي و كان عامله على البحرين، فعزله، و استعمل نعمان بن عجلان الزرقي مكانه‏

أما بعد فإني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي على البحرين و نزعت يدك بلا ذم لك و لا تثريب عليك فلقد أحسنت الولاية و أديت الأمانة فأقبل غير ظنين و لا ملوم و لا متهم و لا مأثوم- [فقد] فلقد أردت المسير إلى ظلمة أهل الشام و أحببت أن تشهد معي فإنك ممن أستظهر به على جهاد العدو و إقامة عمود الدين إن شاء الله‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 415

43 و من كتاب له ع إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني و هو عامله على أردشيرخرة

بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك و عصيت إمامك أنك تقسم في‏ء المسلمين الذي حازته رماحهم و خيولهم و أريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من أعراب قومك فوالذي فلق الحبة و برأ النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن لك علي هوانا و لتخفن عندي ميزانا فلا تستهن بحق ربك و لا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين أعمالا ألا و إن حق من قبلك و قبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفي‏ء سواء يردون عندي عليه و يصدرون عنه‏

44 و من كتاب له ع إلى زياد ابن أبيه و قد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه‏

و قد عرفت أن معاوية كتب إليك يستزل لبك و يستفل غربك فاحذره فإنما هو الشيطان يأتي المرء

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 416

من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله ليقتحم غفلته و يستلب غرته و قد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس و نزغة من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب و لا يستحق بها إرث و المتعلق بها كالواغل المدفع و النوط المذبذب‏

فلما قرأ زياد الكتاب قال شهد بها و رب الكعبة و لم تزل في نفسه حتى ادعاه معاوية [قال الرضي قوله ع الواغل هو الذي يهجم على الشرب ليشرب معهم و ليس منهم فلا يزال مدفعا محاجزا و النوط المذبذب هو ما يناط برحل الراكب من قعب أو قدح أو ما أشبه ذلك فهو أبدا يتقلقل إذا حث ظهره و استعجل سيره‏]

45 و من كتاب له ع إلى عثمان بن حنيف الأنصاري و كان عامله على البصرة و قد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها- قوله:

أما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان و تنقل إليك الجفان و ما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو و غنيهم مدعو فانظر إلى ما تقضمه‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 417

من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه و ما أيقنت بطيب [وجهه‏] وجوهه فنل منه ألا و إن لكل مأموم إماما يقتدي به و يستضي‏ء بنور علمه ألا و إن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه و من طعمه بقرصيه ألا و إنكم لا تقدرون على ذلك و لكن أعينوني بورع و اجتهاد و عفة و سداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا و لا ادخرت من غنائمها وفرا و لا أعددت لبالي ثوبي طمرا و لا حزت من أرضها شبرا و لا أخذت منه إلا كقوت أتان دبرة و لهي في عيني أوهى و أوهن من عفصة مقرة بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس قوم آخرين و نعم الحكم الله و ما أصنع بفدك و غير فدك و النفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها و تغيب أخبارها و حفرة لو زيد في فسحتها و أوسعت يدا حافرها لأضغطها الحجر و المدر و سد فرجها التراب المتراكم و إنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر و تثبت على جوانب المزلق و لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 418

العسل و لباب هذا القمح و نسائج هذا القز و لكن هيهات أن يغلبني هواي و يقودني جشعي إلى تخير الأطعمة و لعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص و لا عهد له بالشبع أو أبيت مبطانا و حولي بطون غرثى و أكباد حرى أو أكون كما قال القائل-

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| و حسبك [عارا] داء أن تبيت ببطنة |  | و حولك أكباد تحن إلى القد |
|  |  |  |

- 287 أ أقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين و لا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها أو المرسلة شغلها تقممها تكترش من أعلافها و تلهو عما يراد بها أو أترك سدى أو أهمل عابثا أو أجر حبل الضلالة أو أعتسف طريق المتاهة و كأني بقائلكم يقول إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران و منازلة الشجعان ألا و إن الشجرة البرية أصلب عودا و الرواتع الخضرة أرق جلودا و النابتات العذية أقوى وقودا و أبطأ خمودا. و أنا من رسول الله كالضوء من الضوء و الذراع من العضد و الله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها و لو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها و سأجهد

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 419

في أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس و الجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد

و من هذا الكتاب و هو آخره-

إليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك و أفلت من حبائلك و اجتنبت الذهاب في مداحضك- 293 أين القرون الذين غررتهم بمداعبك أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك فها هم رهائن القبور و مضامين اللحود و الله لو كنت شخصا مرئيا و قالبا حسيا لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني و أمم ألقيتهم في المهاوي و ملوك أسلمتهم إلى التلف و أوردتهم موارد البلاء إذ لا ورد و لا صدر هيهات من وطئ دحضك زلق و من ركب لججك غرق و من ازور عن حبائلك وفق و السالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه و الدنيا عنده كيوم حان انسلاخه اعزبي عني فوالله لا أذل لك فتستذليني و لا أسلس لك فتقوديني و ايم الله يمينا أستثني فيها بمشيئة الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوما و تقنع بالملح مأدوما و لأدعن مقلتي كعين ماء

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 420

نضب معينها مستفرغة دموعها أ تمتلئ السائمة من رعيها فتبرك و تشبع الربيضة من عشبها فتربض و يأكل علي من زاده فيهجع قرت إذا عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة و السائمة المرعية طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها و عركت بجنبها بؤسها و هجرت في 295 الليل غمضها حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها و توسدت كفها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم و تجافت عن مضاجعهم جنوبهم و همهمت بذكر ربهم شفاههم و تقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم- أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون‏ فاتق الله يا ابن حنيف و لتكفف أقراصك ليكون من النار خلاصك‏

46 و من كتاب له ع إلى بعض عماله‏

أما بعد فإنك ممن أستظهر به على إقامة الدين و أقمع به نخوة الأثيم و أسد به لهاة الثغر المخوف فاستعن بالله على ما أهمك و اخلط الشدة بضغث من اللين‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 421

و ارفق ما كان الرفق أرفق و اعتزم بالشدة حين لا تغني عنك إلا الشدة و اخفض للرعية جناحك و ابسط لهم وجهك و ألن لهم جانبك و آس بينهم في اللحظة و النظرة و الإشارة و التحية حتى لا يطمع العظماء في حيفك و لا ييأس الضعفاء من عدلك و السلام‏

47 و من وصية له ع للحسن و الحسين ع لما ضربه ابن ملجم لعنه الله‏

أوصيكما بتقوى الله و ألا تبغيا الدنيا و إن بغتكما و لا تأسفا على شي‏ء منها زوي عنكما و قولا بالحق و اعملا للأجر و كونا للظالم خصما و للمظلوم عونا أوصيكما و جميع ولدي و أهلي و من بلغه كتابي بتقوى الله و نظم أمركم و صلاح ذات بينكم فإني سمعت جدكما ص يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة و الصيام الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم و لا يضيعوا بحضرتكم‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 422

و الله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم و الله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم و الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم و الله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا و الله الله في الجهاد بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم في سبيل الله و عليكم بالتواصل و التباذل و إياكم و التدابر و التقاطع لا تتركوا 6 الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فيولى عليكم [أشراركم‏] شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ثم قال يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون قتل أمير المؤمنين [قتل أمير المؤمنين‏] ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة و لا تمثلوا بالرجل فإني سمعت رسول الله ص يقول إياكم و المثلة و لو بالكلب العقور

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 423

48 و من كتاب له ع إلى معاوية

فإن البغي و الزور يوتغان المرء في دينه و دنياه و يبديان خلله عند من يعيبه و قد علمت أنك غير مدرك ما قضي فواته و قد رام أقوام أمرا بغير الحق فتألوا على الله فأكذبهم فاحذر يوما يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله و يندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه و قد دعوتنا إلى حكم القرآن و لست من أهله و لسنا إياك أجبنا و لكنا أجبنا القرآن في حكمه و السلام‏

49 و من كتاب له ع إلى معاوية أيضا

أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن غيرها و لم يصب صاحبها منها شيئا إلا فتحت له حرصا عليها و لهجا بها و لن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها و من وراء ذلك فراق ما جمع و نقض ما أبرم و لو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي و السلام‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 424

50 و من كتاب له ع إلى أمرائه على الجيش‏

من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى أصحاب المسالح أما بعد فإن حقا على الوالي ألا يغيره على رعيته فضل ناله و لا طول خص به و أن يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده و عطفا على إخوانه ألا و إن لكم عندي ألا أحتجز دونكم سرا إلا في حرب و لا أطوي دونكم أمرا إلا في حكم و لا أؤخر لكم حقا عن محله و لا أقف به دون مقطعه و أن تكونوا عندي في الحق سواء فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة و لي عليكم الطاعة و ألا تنكصوا عن دعوة و لا تفرطوا في صلاح و أن تخوضوا الغمرات إلى الحق فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن أحد أهون علي ممن اعوج منكم ثم أعظم له العقوبة و لا يجد عندي فيها رخصة فخذوا هذا من أمرائكم و أعطوهم من أنفسكم ما يصلح الله به أمركم و السلام‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 425

51 و من كتاب له ع إلى عماله على الخراج‏

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أصحاب الخراج أما بعد فإن من لم يحذر ما هو [سائر] صائر إليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها و اعلموا أن ما كلفتم به يسير و أن ثوابه كثير و لو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي و العدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه فأنصفوا الناس من أنفسكم و اصبروا لحوائجهم فإنكم خزان الرعية و وكلاء الأمة و سفراء الأئمة و لا تحشموا أحدا عن حاجته و لا تحبسوه عن طلبته و لا تبيعن [الناس‏] للناس في الخراج كسوة شتاء و لا صيف و لا دابة يعتملون عليها و لا عبدا و لا تضربن أحدا سوطا لمكان درهم و لا تمسن مال أحد من الناس مصل و لا معاهد إلا أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدى به على أهل الإسلام فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه و لا تدخروا أنفسكم نصيحة و لا الجند حسن سيرة و لا الرعية معونة و لا دين الله قوة و [أبلوه في سبيل‏] أبلوا في سبيل الله ما استوجب عليكم فإن الله سبحانه قد اصطنع عندنا

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 426

20 و عندكم أن نشكره بجهدنا و أن ننصره بما بلغت قوتنا و لا قوة إلا بالله العلي العظيم‏

52 و من كتاب له ع إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة

أما بعد فصلوا بالناس الظهر حتى تفي‏ء الشمس [مثل‏] من مربض العنز و صلوا بهم العصر و الشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان و صلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم و يدفع الحاج إلى منى و صلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق إلى ثلث الليل و صلوا بهم الغداة و الرجل يعرف وجه صاحبه و صلوا بهم صلاة أضعفهم و لا تكونوا فتانين‏

53 و من كتاب له ع كتبه للأشتر النخعي [رحمه الله‏] لما ولاه على مصر و أعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر، و هو أطول عهد كتبه و أجمعه للمحاسن.

بسم الله الرحمن الرحيم‏ هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 427

في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها و جهاد عدوها و استصلاح أهلها و عمارة بلادها أمره بتقوى الله و إيثار طاعته و اتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه و سننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها و لا يشقى إلا مع جحودها و إضاعتها و أن ينصر الله سبحانه [بيده و قلبه‏] بقلبه و يده و لسانه فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره و إعزاز من أعزه و أمره أن يكسر [من نفسه عند] نفسه من الشهوات و [ينزعها] يزعها عند الجمحات فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله ثم اعلم يا مالك أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور و أن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور 31 الولاة قبلك و يقولون فيك ما كنت [تقوله‏] تقول فيهم و إنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك و شح بنفسك عما لا يحل لك فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت و أشعر قلبك الرحمة للرعية و المحبة لهم و اللطف بهم و لا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين و إما نظير لك في الخلق يفرط

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 428

منهم الزلل و تعرض لهم العلل و يؤتى على أيديهم في العمد و الخطإ فأعطهم من عفوك و صفحك مثل الذي تحب و ترضى أن يعطيك الله من عفوه و صفحه فإنك فوقهم و والي الأمر عليك فوقك و الله فوق من ولاك و قد استكفاك أمرهم و ابتلاك بهم و لا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا [يدي‏] يد لك بنقمته و لا غنى بك عن عفوه و رحمته و لا تندمن على عفو و لا تبجحن بعقوبة و لا تسرعن إلى بادرة وجدت [عنها] منها مندوحة و لا تقولن إني مؤمر آمر فأطاع فإن ذلك إدغال في القلب و منهكة للدين و تقرب من الغير- 33 و إذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك و قدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطامن إليك من طماحك و يكف عنك من غربك و يفي‏ء إليك بما عزب عنك من عقلك إياك و مساماة الله في عظمته و التشبه به في جبروته فإن الله يذل كل جبار و يهين كل مختال أنصف الله و أنصف الناس من نفسك و من خاصة أهلك و من لك [هوى فيه‏] فيه هوى من رعيتك فإنك إلا تفعل تظلم و من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده و من خاصمه الله أدحض حجته‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 429

و كان لله حربا حتى ينزع أو يتوب و ليس شي‏ء أدعى إلى تغيير نعمة الله و تعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله [يسمع‏] سميع دعوة المضطهدين و هو للظالمين بالمرصاد و ليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق و أعمها في العدل و أجمعها [لرضا] لرضى الرعية فإن سخط العامة يجحف [برضا] برضى الخاصة و إن سخط الخاصة يغتفر مع [رضا] رضى العامة- 35 و ليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مئونة في الرخاء و أقل معونة له في البلاء و أكره للإنصاف و أسأل بالإلحاف و أقل شكرا عند الإعطاء و أبطأ عذرا عند المنع و أضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة و إنما [عمود] عماد الدين و جماع المسلمين و العدة للأعداء العامة من الأمة فليكن صغوك لهم و ميلك معهم و ليكن أبعد رعيتك منك و أشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس فإن في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك و الله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك أطلق عن الناس عقدة كل حقد و اقطع عنك سبب كل وتر و تغاب عن كل ما لا يضح لك و لا

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 430

تعجلن إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش و إن تشبه بالناصحين و لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل و يعدك الفقر و لا جبانا يضعفك عن الأمور و لا حريصا يزين لك الشره بالجور فإن البخل و الجبن و الحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله [شر] إن شر وزرائك من كان [قبلك للأشرار] للأشرار قبلك وزيرا و من شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الأثمة و إخوان الظلمة و أنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم و نفاذهم و ليس عليه مثل آصارهم و أوزارهم و آثامهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه و لا آثما على إثمه أولئك أخف عليك مئونة و أحسن لك معونة و أحنى عليك عطفا و أقل لغيرك إلفا فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك و حفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك و أقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع و الصق بأهل الورع و الصدق ثم رضهم على ألا يطروك و لا يبجحوك بباطل لم تفعله فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو و تدني من العزة و لا يكونن المحسن و المسي‏ء عندك بمنزلة سواء فإن في ذلك‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 431

تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان و تدريبا لأهل الإساءة على الإساءة و ألزم كلا منهم ما ألزم نفسه و اعلم أنه ليس شي‏ء بأدعى إلى حسن ظن [وال‏] راع برعيته من إحسانه إليهم و تخفيفه المئونات عليهم و ترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا و إن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده و إن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده- 47 و لا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة و اجتمعت بها الألفة و صلحت عليها الرعية و لا تحدثن سنة تضر بشي‏ء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها و الوزر عليك بما نقضت منها و أكثر مدارسة العلماء و مناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك و إقامة ما استقام به الناس قبلك و اعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض و لا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله و منها كتاب العامة و الخاصة و منها قضاة العدل و منها عمال الإنصاف و الرفق و منها أهل الجزية و الخراج من أهل الذمة و مسلمة الناس و منها التجار و أهل الصناعات‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 432

و منها الطبقة السفلى من ذوي [الحاجات‏] الحاجة و المسكنة و كل قد سمى الله له سهمه و وضع على حده [و فريضته‏] فريضة في كتابه أو سنة نبيه ص عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود بإذن الله حصون الرعية و زين الولاة و عز الدين و سبل الأمن و ليس تقوم الرعية إلا بهم ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم و يعتمدون عليه فيما يصلحهم و يكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة و العمال 49 و الكتاب لما يحكمون من المعاقد و يجمعون من المنافع و يؤتمنون عليه من خواص الأمور و عوامها و لا قوام لهم جميعا إلا بالتجار و ذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم و يقيمونه من أسواقهم و يكفونهم من الترفق بأيديهم- [مما] ما لا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة و المسكنة الذين يحق رفدهم و معونتهم و في الله لكل سعة و لكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه و ليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله [تعالى‏] من ذلك إلا بالاهتمام و الاستعانة بالله و توطين نفسه على لزوم الحق و الصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل: فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله و لرسوله و لإمامك و [أطهرهم‏] أنقاهم جيبا و أفضلهم حلما

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 433

ممن يبطئ عن الغضب و يستريح إلى العذر و يرأف بالضعفاء و ينبو على الأقوياء و ممن لا يثيره العنف و لا يقعد به الضعف ثم الصق بذوي المروءات و الأحساب و أهل البيوتات لصالحة و السوابق الحسنة ثم أهل النجدة و الشجاعة و السخاء و السماحة فإنهم جماع من الكرم و شعب من العرف ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما و لا يتفاقمن في نفسك شي‏ء قويتهم به و لا تحقرن لطفا تعاهدتهم به و إن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك و حسن الظن بك و لا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها فإن لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به و للجسيم موقعا لا يستغنون عنه و ليكن آثر رءوس جندك عندك من واساهم في معونته و أفضل عليهم من جدته بما يسعهم و يسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك و إن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد و ظهور مودة الرعية و إنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم و لا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة [أمورهم‏] الأمور و قلة استثقال دولهم و ترك‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 434

استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم و واصل [من‏] في حسن الثناء عليهم و تعديد ما أبلى ذوو البلاء 52 منهم فإن كثرة الذكر لحسن [فعالهم‏] أفعالهم تهز الشجاع و تحرض الناكل إن شاء الله ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى و لا تضمن بلاء امرئ إلى غيره و لا تقصرن به دون غاية بلائه و لا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا و لا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما و اردد إلى الله و رسوله ما يضلعك من الخطوب و يشتبه عليك من الأمور فقد قال الله [سبحانه‏] تعالى لقوم أحب إرشادهم- يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شي‏ء فردوه إلى الله و الرسول‏ فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه و الرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة:

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور و لا تمحكه الخصوم و لا يتمادى في الزلة و لا يحصر من الفي‏ء إلى الحق إذا عرفه و لا تشرف نفسه على طمع و لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه و أوقفهم في الشبهات و آخذهم بالحجج و أقلهم تبرما بمراجعة

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 435

الخصم و أصبرهم 59 على تكشف الأمور و أصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء و لا يستميله إغراء و أولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه و [أفسح‏] افسح له في البذل ما [يزيح‏] يزيل علته و تقل معه حاجته إلى الناس و أعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظرا بليغا فإن هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى و تطلب به الدنيا:

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم [اختيارا] اختبارا و لا تولهم محاباة و أثرة فإنهما جماع من شعب الجور و الخيانة و توخ منهم أهل التجربة و الحياء من أهل البيوتات الصالحة و القدم في الإسلام المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقا و أصح أعراضا و أقل في المطامع [إشرافا] إشراقا و أبلغ في عواقب الأمور نظرا- 69 ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم و غنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم و حجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك ثم تفقد أعمالهم و ابعث العيون من أهل الصدق و الوفاء عليهم فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة و الرفق بالرعية و تحفظ من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 436

عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه و أخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة و وسمته بالخيانة و قلدته عار التهمة:

و تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه و صلاحهم صلاحا لمن سواهم و لا صلاح لمن سواهم إلا بهم لأن الناس كلهم عيال على الخراج و أهله و ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة و من طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد و أهلك 71 العباد و لم يستقم أمره إلا قليلا فإن شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم و لا يثقلن عليك شي‏ء خففت به المئونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك و تزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم و تبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم و الثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم و رفقك بهم فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به فإن العمران محتمل ما حملته و إنما يؤتى خراب الأرض من إعواز

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 437

أهلها و إنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع و سوء ظنهم بالبقاء و قلة انتفاعهم بالعبر:

ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم و اخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك و أسرارك بأجمعهم [لوجود] لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملإ و لا [تقصر] تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك و إصدار جواباتها على الصواب عنك- [و] فيما يأخذ لك و يعطي منك و لا يضعف عقدا اعتقده لك و لا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك و لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك و استنامتك و حسن الظن منك- 76 فإن الرجال يتعرضون [يتعرفون‏] لفراسات الولاة بتصنعهم و حسن [حديثهم‏] خدمتهم و ليس وراء ذلك من النصيحة و الأمانة شي‏ء و لكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثرا و أعرفهم بالأمانة وجها فإن ذلك دليل على نصيحتك لله و لمن وليت أمره و اجعل لرأس كل أمر من أمورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها و لا يتشتت عليه كثيرها و مهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 438

: ثم استوص بالتجار و ذوي الصناعات و أوص بهم خيرا المقيم منهم و المضطرب بماله و المترفق ببدنه فإنهم مواد المنافع و أسباب المرافق و جلابها من المباعد و المطارح في برك و بحرك و سهلك و جبلك و حيث لا يلتئم الناس لمواضعها و لا يجترءون عليها فإنهم سلم لا تخاف بائقته و صلح لا تخشى غائلته و تفقد أمورهم بحضرتك و في حواشي بلادك و اعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا و شحا قبيحا و احتكارا للمنافع و تحكما في البياعات و ذلك باب مضرة للعامة و عيب على الولاة فامنع من الاحتكار فإن رسول الله ص منع منه و ليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل و أسعار لا تجحف بالفريقين من البائع و المبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به و عاقبه [من‏] في غير إسراف:

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين و المحتاجين و أهل البؤسى و الزمنى فإن في هذه الطبقة قانعا و معترا و احفظ [الله‏] لله ما استحفظك من حقه فيهم و اجعل لهم قسما من بيت مالك و قسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى و كل‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 439

قد استرعيت حقه و لا يشغلنك عنهم بطر فإنك لا تعذر [بتضييع التافه‏] بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم و لا تصعر خدك لهم و تفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون و تحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية و التواضع فليرفع إليك أمورهم- ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله [سبحانه‏] يوم تلقاه فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم و كل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه- 86 و تعهد أهل اليتم و ذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له و لا ينصب للمسألة نفسه و ذلك على الولاة ثقيل و الحق كله ثقيل و قد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم و وثقوا بصدق موعود الله لهم:

و اجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك و تجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك و تقعد عنهم جندك و أعوانك من أحراسك و شرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فإني سمعت رسول الله ص يقول في غير موطن لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع- 88 ثم احتمل الخرق منهم و العي و نح عنهم الضيق‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 440

و الأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته و يوجب لك ثواب طاعته و أعط ما أعطيت هنيئا و امنع في إجمال و إعذار ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك و منها إصدار حاجات الناس [عند] يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك و أمض لكل يوم عمله فإن لكل يوم ما فيه: و اجعل لنفسك فيما بينك و بين الله [تعالى‏] أفضل تلك المواقيت و أجزل تلك الأقسام و إن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية و سلمت منها الرعية و ليكن في خاصة ما تخلص به لله دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة فأعط الله من بدنك في ليلك و نهارك و وف ما تقربت به إلى الله [سبحانه‏] من ذلك كاملا غير مثلوم و لا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ و إذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا و لا مضيعا فإن في الناس من به العلة و له الحاجة و قد سألت رسول الله ص حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم فقال صل بهم كصلاة أضعفهم و كن بالمؤمنين رحيما

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 441

: و أما [بعد هذا] بعد فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق و قلة علم بالأمور و الاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير و يعظم الصغير و يقبح الحسن و يحسن القبيح و يشاب الحق بالباطل و إنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور و ليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من 91 الكذب و إنما أنت أحد رجلين إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك مع أن أكثر حاجات الناس إليك- [ما] مما لا مئونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة: ثم إن للوالي خاصة و بطانة فيهم استئثار و تطاول و قلة إنصاف في معاملة فاحسم [مئونة] مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال و لا تقطعن لأحد من حاشيتك و حامتك قطيعة و لا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في 97 شرب أو عمل مشترك يحملون مئونته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك و عيبه عليك في الدنيا و الآخرة و ألزم الحق من لزمه من القريب و البعيد و كن في ذلك صابرا

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 442

محتسبا واقعا ذلك من قرابتك و [خواصك‏] خاصتك حيث وقع و ابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فإن مغبة ذلك محمودة و إن ظنت الرعية بك حيفا فأصحر لهم بعذرك و اعدل عنك ظنونهم بإصحارك فإن في ذلك رياضة منك لنفسك و رفقا برعيتك و إعذارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق:

و لا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك و لله فيه رضا فإن في الصلح دعة لجنودك و راحة من همومك و أمنا لبلادك و لكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم و اتهم في ذلك حسن الظن و إن عقدت بينك و بين [عدو لك‏] عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء و ارع ذمتك بالأمانة و اجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شي‏ء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم و تشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك و لا تخيسن بعهدك و لا تختلن عدوك فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي و قد جعل الله عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته- 107 و حريما يسكنون إلى‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 443

منعته و يستفيضون إلى جواره فلا إدغال و لا مدالسة و لا خداع فيه و لا [تعقده‏] تعقد عقدا تجوز فيه العلل و لا تعولن على لحن [القول‏] قول بعد التأكيد و التوثقة و لا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه و فضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته و أن تحيط بك من الله فيه طلبة لا [تستقيل‏] تستقبل فيها دنياك و لا آخرتك:

إياك و الدماء و سفكها بغير حلها فإنه ليس شي‏ء أدعى لنقمة و لا أعظم 111 لتبعة و لا أحرى بزوال نعمة و انقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها و الله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فإن ذلك مما يضعفه و يوهنه بل يزيله و ينقله و لا عذر لك عند الله و لا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن و إن ابتليت بخطإ و أفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم:

و إياك و الإعجاب بنفسك و الثقة بما يعجبك منها و حب‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 444

الإطراء فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين و إياك و المن على رعيتك بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فإن المن يبطل الإحسان و التزيد يذهب بنور الحق و الخلف يوجب المقت عند الله و الناس قال الله [سبحانه و تعالى‏] تعالى‏ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون‏ و إياك و العجلة بالأمور قبل أوانها أو [التساقط] التسقط فيها عند إمكانها أو اللجاجة فيها إذا تنكرت أو الوهن عنها إذا استوضحت فضع كل أمر موضعه و أوقع كل [عمل‏] أمر موقعه و إياك و الاستئثار بما الناس فيه أسوة و التغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون فإنه مأخوذ منك لغيرك و عما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور و ينتصف منك للمظلوم املك حمية أنفك و سورة حدك و سطوة يدك و غرب لسانك و احترس من كل ذلك بكف البادرة و تأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار و لن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك-

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 445

114 و الواجب عليك أن تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو أثر عن نبينا ص أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها و تجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا و استوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها: [و من هذا العهد و هو آخره‏] و أنا أسأل الله بسعة رحمته و عظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقني و إياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه و إلى خلقه- [من‏] مع حسن الثناء في العباد و جميل الأثر في البلاد و تمام النعمة و تضعيف الكرامة و أن يختم لي و لك بالسعادة و الشهادة- إنا إليه راجعون‏ [إلى الله راغبون‏] و السلام على رسول الله صلى الله عليه و [على‏] آله و سلم الطيبين الطاهرين و سلم تسليما كثيرا و السلام‏

54 و من كتاب له ع إلى طلحة و الزبير (مع عمران بن الحصين الخزاعي) ذكره أبو جعفر الإسكافي في كتاب المقامات في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام.

أما بعد فقد علمتما و إن كتمتما أني لم أرد الناس حتى أرادوني و لم أبايعهم حتى بايعوني و إنكما ممن أرادني و بايعني و إن العامة لم تبايعني لسلطان غالب و لا [لحرص‏] لعرض حاضر فإن‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 446

كنتما بايعتماني طائعين فارجعا و توبا إلى الله من قريب و إن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة و إسراركما المعصية و لعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقية و الكتمان و إن دفعكما هذا الأمر [قبل‏] من قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به و قد زعمتما أني قتلت عثمان فبيني و بينكما من تخلف عني و عنكما من أهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن [أعظم‏] أعظم أمركما العار من قبل أن [يجتمع‏] يتجمع العار و النار و السلام‏

55 و من كتاب له ع إلى معاوية

أما بعد فإن الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها و ابتلى فيها أهلها ليعلم‏ أيهم أحسن عملا و لسنا للدنيا خلقنا و لا بالسعي فيها أمرنا و إنما وضعنا فيها لنبتلي بها و قد ابتلاني الله بك و ابتلاك بي فجعل أحدنا حجة على الآخر فعدوت على [طلب‏] الدنيا بتأويل القرآن [و طلبتني‏] فطلبتني بما لم تجن يدي و لا لساني و [عصبته‏] عصيته أنت و أهل الشام بي و ألب عالمكم جاهلكم و قائمكم قاعدكم‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 447

فاتق الله في نفسك و نازع الشيطان قيادك و اصرف إلى الآخرة وجهك فهي طريقنا و طريقك و احذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الأصل و تقطع الدابر فإني أولي لك بالله ألية غير فاجرة لئن جمعتني و إياك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك- حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين‏

56 و من [كلام‏] وصية له ع وصى [به‏] بها شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام‏

اتق الله في كل [مساء و صباح‏] صباح و مساء و خف على نفسك الدنيا الغرور و لا تأمنها على حال و اعلم أنك إن لم تردع نفسك عن كثير مما تحب مخافة [مكروهه‏] مكروه سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعا رادعا و [لنزواتك‏] لنزوتك عند الحفيظة واقما قامعا

57 و من كتاب له ع إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة

أما بعد فإني خرجت [عن‏] من حيي هذا إما ظالما و إما

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 448

مظلوما و إما باغيا و إما مبغيا عليه و [أنا] إني أذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر إلي فإن كنت محسنا أعانني و إن كنت مسيئا استعتبني‏

58 و من كتاب له ع كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه و بين أهل صفين‏

و كان بدء أمرنا أنا التقينا [بالقوم‏] و القوم من أهل الشام و الظاهر أن ربنا واحد و نبينا واحد و دعوتنا في الإسلام واحدة و لا نستزيدهم في الإيمان بالله و التصديق برسوله و لا يستزيدوننا- [و] الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان و نحن منه براء فقلنا تعالوا [نداوي‏] نداو ما لا يدرك اليوم بإطفاء النائرة و تسكين العامة حتى يشتد الأمر و يستجمع فنقوى على وضع الحق [في مواضعه‏] مواضعه فقالوا بل نداويه بالمكابرة فأبوا حتى جنحت الحرب و ركدت و وقدت نيرانها و حمشت فلما ضرستنا و إياهم و وضعت مخالبها فينا و فيهم أجابوا عند ذلك إلى الذي دعوناهم إليه فأجبناهم إلى ما دعوا و سارعناهم إلى ما طلبوا حتى استبانت عليهم الحجة و انقطعت منهم المعذرة فمن تم على ذلك منهم فهو الذي أنقذه الله من الهلكة و من لج و تمادى فهو

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 449

الراكس الذي ران الله على قلبه و صارت دائرة السوء على رأسه‏

59 و من كتاب له ع إلى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان‏

أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء فإنه ليس في الجور عوض من العدل فاجتنب ما تنكر أمثاله و ابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجيا ثوابه و متخوفا عقابه و اعلم أن الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها فيها قط ساعة إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة و أنه لن يغنيك عن الحق شي‏ء أبدا و من الحق عليك حفظ نفسك و الاحتساب على الرعية بجهدك فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك و السلام‏

60 و من كتاب له ع إلى العمال الذين يطأ [عملهم الجيوش‏] الجيش عملهم‏

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من مر به الجيش من جباة الخراج و عمال البلاد

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 450

أما بعد فإني قد سيرت جنودا هي مارة بكم إن شاء الله و قد أوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الأذى و صرف الشذا و أنا أبرأ إليكم و إلى ذمتكم من معرة الجيش إلا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهبا إلى شبعه فنكلوا من تناول منهم شيئا ظلما عن ظلمهم و كفوا أيدي سفهائكم عن [مضادتهم‏] مضارتهم و التعرض لهم فيما استثنيناه منهم و أنا بين أظهر الجيش فارفعوا إلي مظالمكم و ما عراكم مما يغلبكم من أمرهم و ما لا تطيقون دفعه إلا بالله و بي فأنا أغيره بمعونة الله إن شاء الله‏

61 و من كتاب له ع إلى كميل بن زياد النخعي و هو عامله على هيت، ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا الغارة.

أما بعد فإن تضييع المرء ما ولي و تكلفه ما كفي لعجز حاضر و رأي متبر و إن تعاطيك الغارة على أهل قرقيسيا و تعطيلك مسالحك التي وليناك ليس [لها] بها من يمنعها و لا يرد الجيش عنها لرأي شعاع فقد صرت جسرا لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك غير شديد المنكب و لا مهيب الجانب‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 451

و لا ساد ثغرة و لا كاسر لعدو شوكة و لا مغن عن أهل مصره و لا مجز عن أميره‏

62 و من كتاب له ع إلى أهل مصر مع مالك الأشتر [رحمه الله‏] لما ولاه إمارتها

أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا ص نذيرا للعالمين و مهيمنا على المرسلين فلما مضى [ص‏] ع تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي و لا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده ص عن أهل بيته و لا أنهم منحوه عني من بعده فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت [بيدي‏] يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ص فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله أن أرى فيه ثلما أو هدما تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب- [و] أو كما يتقشع السحاب فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل و زهق و اطمأن الدين و تنهنه‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 452

: و [من هذا الكتاب‏] منه‏

إني و الله لو لقيتهم واحدا و هم طلاع الأرض كلها ما باليت و لا استوحشت و إني من ضلالهم الذي هم فيه و الهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي و يقين من ربي و إني إلى لقاء الله لمشتاق و [لحسن‏] حسن ثوابه لمنتظر راج و لكنني آسى أن يلي [هذه الأمة] أمر هذه الأمة سفهاؤها و فجارها فيتخذوا مال الله دولا و عباده خولا و الصالحين حربا و الفاسقين حزبا فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام و جلد حدا في الإسلام و إن منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الإسلام الرضائخ فلو لا ذلك ما أكثرت تأليبكم و تأنيبكم و جمعكم و تحريضكم و لتركتكم إذ أبيتم و ونيتم أ لا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت و إلى أمصاركم قد افتتحت و إلى ممالككم تزوى و إلى بلادكم تغزى انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوكم و لا تثاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف و تبوءوا بالذل و يكون نصيبكم الأخس و إن أخا الحرب الأرق و من نام لم ينم عنه و السلام‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 453

63 و من كتاب له ع إلى أبي موسى الأشعري و هو عامله على الكوفة، و قد بلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل.

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس أما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك و عليك فإذا قدم [عليك رسولي‏] رسولي عليك فارفع ذيلك و اشدد مئزرك و اخرج من جحرك و اندب من معك فإن حققت فانفذ و إن تفشلت فابعد و ايم الله لتؤتين من حيث أنت و لا تترك حتى يخلط زبدك بخاثرك و ذائبك بجامدك و حتى تعجل عن قعدتك و تحذر من أمامك كحذرك من خلفك و ما هي بالهوينى التي ترجو و لكنها الداهية الكبرى يركب جملها و [يذل‏] يذلل صعبها و يسهل جبلها فاعقل عقلك و املك أمرك و خذ نصيبك و حظك فإن كرهت فتنح إلى غير رحب و لا في نجاة فبالحري لتكفين و أنت نائم حتى لا يقال أين فلان و الله إنه لحق مع محق و ما [يبالي‏] أبالي ما صنع الملحدون و السلام‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 454

64 و من كتاب له ع إلى معاوية جوابا [عن كتابه‏]

أما بعد فإنا كنا نحن و أنتم على ما ذكرت من الألفة و الجماعة ففرق بيننا و بينكم أمس أنا آمنا و كفرتم و اليوم أنا استقمنا و فتنتم و ما أسلم مسلمكم إلا كرها و بعد أن كان أنف الإسلام كله لرسول الله ص [حربا] حزبا و ذكرت أني قتلت طلحة و الزبير و شردت بعائشة و نزلت بين المصرين و ذلك أمر غبت عنه فلا عليك و لا العذر فيه إليك و ذكرت أنك زائري في [جمع‏] المهاجرين و الأنصار و قد انقطعت الهجرة يوم أسر أخوك فإن كان [فيك‏] فيه عجل فاسترفه فإني إن أزرك فذلك جدير أن يكون الله إنما بعثني إليك للنقمة منك و إن تزرني فكما قال أخو بني أسد

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مستقبلين رياح الصيف تضربهم‏ |  | بحاصب بين أغوار و جلمود |
|  |  |  |

و عندي السيف الذي أعضضته بجدك و خالك و أخيك في‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 455

مقام واحد- [فإنك‏] و إنك و الله ما علمت الأغلف القلب المقارب العقل و الأولى أن يقال لك إنك رقيت سلما أطلعك مطلع سوء عليك لا لك لأنك نشدت غير ضالتك و رعيت غير سائمتك و طلبت أمرا لست من أهله و لا في معدنه فما أبعد قولك من فعلك- 251 و قريب ما أشبهت من أعمام و أخوال حملتهم الشقاوة و تمني الباطل على الجحود بمحمد ص فصرعوا مصارعهم حيث علمت لم يدفعوا عظيما و لم يمنعوا حريما بوقع سيوف ما خلا منها الوغى و لم تماشها الهوينى و قد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلي أحملك و إياهم على كتاب الله تعالى و أما تلك التي تريد فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصال و السلام لأهله‏

65 و من كتاب له ع إليه أيضا

أما بعد فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور- [فلقد] فقد سلكت مدارج أسلافك بادعائك الأباطيل‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 456

و اقتحامك غرور المين و الأكاذيب [من انتحالك‏] و بانتحالك ما قد علا عنك و ابتزازك لما قد اختزن دونك فرارا من الحق و جحودا لما هو ألزم لك من لحمك و دمك مما قد وعاه سمعك و ملئ به صدرك فما ذا بعد الحق إلا الضلال المبين و بعد البيان إلا اللبس فاحذر الشبهة و اشتمالها على لبستها فإن الفتنة طالما أغدفت جلابيبها و [أعشت‏] أغشت الأبصار ظلمتها و قد أتاني كتاب منك ذو أفانين من القول ضعفت قواها عن السلم و أساطير لم يحكها [عنك‏] منك علم و لا حلم أصبحت منها كالخائض في الدهاس و الخابط في الديماس و ترقيت إلى مرقبة بعيدة المرام نازحة الأعلام تقصر دونها الأنوق و يحاذى بها العيوق و حاش لله أن تلي للمسلمين [من‏] بعدي صدرا أو وردا أو أجري لك على أحد منهم عقدا أو عهدا فمن الآن فتدارك نفسك و انظر لها فإنك إن فرطت حتى ينهد إليك عباد الله أرتجت عليك الأمور و منعت أمرا هو منك اليوم مقبول و السلام‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 457

66 و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس و قد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية

أما بعد فإن [العبد] المرء ليفرح بالشي‏ء الذي لم يكن ليفوته و يحزن على الشي‏ء الذي لم يكن ليصيبه فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة أو شفاء غيظ و لكن إطفاء باطل [و] أو إحياء حق- و ليكن سرورك بما قدمت و أسفك على ما خلفت و همك فيما بعد الموت‏

67 و من كتاب له ع إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكة

أما بعد فأقم للناس الحج- و ذكرهم بأيام الله‏ و اجلس لهم العصرين فأفت المستفتي و علم الجاهل و ذاكر العالم و لا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك و لا حاجب إلا وجهك و لا تحجبن ذا حاجة عن لقائك بها فإنها إن ذيدت عن أبوابك في أول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها و انظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 458

من ذوي العيال و المجاعة مصيبا به مواضع [المفاقر] الفاقة و الخلات و ما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا و مر أهل مكة ألا يأخذوا من ساكن أجرا فإن الله سبحانه يقول- سواء العاكف فيه و الباد فالعاكف المقيم به و البادي الذي يحج إليه من غير أهله وفقنا الله و إياكم لمحابه و السلام‏

68 و من كتاب له ع إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته‏

أما بعد فإنما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها و ضع عنك همومها لما أيقنت به من فراقها و تصرف حالاتها و كن آنس ما تكون بها أحذر ما تكون منها فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته عنه إلى محذور أو إلى إيناس أزالته عنه إلى إيحاش و السلام‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 459

69 و من كتاب له ع إلى الحارث [الهمداني‏] الهمذاني‏

و تمسك بحبل القرآن و [انتصحه‏] استنصحه و أحل حلاله و حرم حرامه و صدق بما سلف من الحق و اعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي منها فإن بعضها يشبه بعضا و آخرها لاحق بأولها و كلها حائل مفارق و عظم اسم الله أن تذكره إلا على حق و أكثر ذكر الموت و ما بعد الموت و لا تتمن الموت إلا بشرط وثيق و احذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه و [يكرهه‏] يكره لعامة المسلمين و احذر كل عمل يعمل به في السر و يستحى منه في العلانية و احذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره [و] أو اعتذر منه و لا تجعل عرضك غرضا لنبال [القوم‏] القول و لا تحدث الناس بكل ما سمعت به فكفى بذلك كذبا و لا ترد على الناس كل ما حدثوك به فكفى بذلك جهلا و اكظم الغيظ و [احلم عند الغضب و تجاوز عند المقدرة] تجاوز عند المقدرة و احلم عند الغضب و اصفح مع الدولة تكن لك العاقبة و استصلح كل نعمة أنعمها الله عليك و لا تضيعن نعمة من نعم الله عندك و لير عليك أثر ما أنعم الله به عليك- و اعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه و أهله‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 460

و ماله- [و إنك‏] فإنك ما تقدم من خير يبق لك ذخره و ما تؤخره يكن لغيرك خيره- 42 و احذر صحابة من يفيل رأيه و ينكر عمله فإن الصاحب معتبر بصاحبه و اسكن الأمصار العظام فإنها جماع المسلمين و احذر منازل الغفلة و الجفاء و قلة الأعوان على طاعة الله و اقصر رأيك على ما يعنيك و إياك و مقاعد الأسواق فإنها محاضر الشيطان و معاريض الفتن و أكثر أن تنظر إلى من فضلت عليه فإن ذلك من أبواب الشكر و لا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة إلا فاصلا في سبيل الله أو في أمر تعذر به و أطع الله في [جمل‏] جميع أمورك فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها و خادع نفسك في العبادة و ارفق بها و لا تقهرها و خذ عفوها و نشاطها إلا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة فإنه لا بد من قضائها و تعاهدها عند محلها و إياك أن ينزل بك الموت و أنت آبق من ربك في طلب الدنيا و إياك و مصاحبة الفساق فإن الشر بالشر ملحق و وقر الله و أحبب أحباءه و احذر الغضب فإنه جند عظيم من جنود إبليس و السلام‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 461

70 و من كتاب له ع إلى سهل بن حنيف الأنصاري و هو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية

أما بعد فقد بلغني أن رجالا ممن قبلك يتسللون إلى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم و يذهب عنك من مددهم فكفى لهم غيا و لك منهم شافيا فرارهم من الهدى و الحق و إيضاعهم إلى العمى و الجهل فإنما هم أهل دنيا مقبلون عليها و مهطعون إليها و قد عرفوا العدل و رأوه و سمعوه و وعوه و علموا أن الناس عندنا في الحق أسوة فهربوا إلى الأثرة فبعدا لهم و سحقا إنهم و الله لم [يفروا] ينفروا من جور و لم يلحقوا بعدل و إنا لنطمع في هذا الأمر أن يذلل الله لنا صعبه و يسهل لنا حزنه إن شاء الله و السلام [عليك و رحمة الله و بركاته‏]

71 و من كتاب له ع إلى المنذر بن الجارود العبدي، و خان في بعض ما ولاه من أعماله‏

أما بعد فإن صلاح أبيك غرني منك و ظننت أنك تتبع‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 462

هديه و تسلك سبيله فإذا أنت فيما رقي إلي عنك لا تدع لهواك انقيادا و لا تبقي لآخرتك عتادا تعمر دنياك بخراب آخرتك و تصل عشيرتك بقطيعة دينك و لئن كان ما بلغني عنك حقا لجمل أهلك و شسع نعلك خير منك و من كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر أو ينفذ به أمر أو يعلى له قدر أو يشرك في أمانة أو يؤمن على جباية فأقبل إلي حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله:

[قال الرضي [رضي الله عنه:] و المنذر بن الجارود هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين ع إنه لنظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه‏]

72 و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس [رضي الله عنه‏]

أما بعد فإنك لست بسابق أجلك و لا مرزوق ما ليس لك و اعلم بأن الدهر يومان يوم لك و يوم عليك و أن الدنيا دار دول فما كان منها لك أتاك على ضعفك و ما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 463

73 و من كتاب له ع إلى معاوية

أما بعد فإني على التردد في جوابك و الاستماع إلى كتابك لموهن رأيي و مخطئ فراستي و إنك إذ تحاولني الأمور و تراجعني السطور كالمستثقل النائم تكذبه أحلامه و المتحير القائم يبهظه مقامه لا يدري أ له ما يأتي أم عليه و لست به غير أنه بك شبيه و أقسم بالله إنه لو لا بعض الاستبقاء لوصلت [مني إليك‏] إليك مني قوارع تقرع العظم و [تنهس‏] تهلس اللحم و اعلم أن الشيطان قد ثبطك عن أن تراجع أحسن أمورك و تأذن لمقال [نصيحك‏] نصيحتك و السلام لأهله‏

74 و من حلف له ع كتبه بين ربيعة و اليمن و نقل من خط هشام بن الكلبي‏

هذا ما اجتمع عليه أهل اليمن حاضرها و باديها و ربيعة حاضرها و باديها أنهم على كتاب الله يدعون إليه و يأمرون به و يجيبون من دعا إليه و أمر به لا يشترون به ثمنا [قليلا] و لا يرضون‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 464

به بدلا و أنهم يد واحدة على من خالف ذلك و تركه- [و أنهم‏] أنصار بعضهم لبعض دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب و لا لغضب غاضب و لا لاستذلال قوم قوما و لا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم و غائبهم و سفيههم و عالمهم و حليمهم و جاهلهم ثم إن عليهم بذلك عهد الله و ميثاقه إن عهد الله كان مسئولا و كتب علي بن أبي طالب‏

75 و من كتاب له ع إلى معاوية [من المدينة] في أول ما بويع له [بالخلافة] ذكره الواقدي في كتاب «الجمل»

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فقد علمت إعذاري فيكم و إعراضي عنكم حتى كان ما لا بد منه و لا دفع له و الحديث طويل و الكلام كثير و قد أدبر ما أدبر و أقبل ما أقبل فبايع من قبلك و أقبل إلي في وفد من أصحابك و السلام‏

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 465

76 و من وصية له ع لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة

سع الناس بوجهك و مجلسك و حكمك و إياك و الغضب فإنه طيرة من الشيطان و اعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار و ما باعدك من الله يقربك من النار

77 و من وصية له ع لعبد الله بن العباس [أيضا] لما بعثه للاحتجاج على الخوارج‏

لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه تقول و يقولون ... و لكن حاججهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصا

78 و من كتاب له ع [أجاب به أبا موسى الأشعري‏] إلى أبي موسى الأشعري جوابا في أمر الحكمين، ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب «المغازي».

فإن الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا و نطقوا بالهوى و إني نزلت من هذا الأمر منزلا معجبا

نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص: 466

اجتمع به أقوام أعجبتهم أنفسهم و أنا أداوي منهم قرحا أخاف أن [يعود علقا يعود] يكون علقا و ليس رجل فاعلم أحرص [الناس‏] على جماعة أمة محمد ص و ألفتها مني أبتغي بذلك حسن الثواب و كرم المآب و سأفي بالذي وأيت على نفسي و إن تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه فإن الشقي من حرم نفع ما أوتي من العقل و التجربة و إني لأعبد أن يقول قائل بباطل و أن أفسد أمرا قد أصلحه الله فدع [عنك‏] ما لا تعرف فإن شرار الناس طائرون إليك بأقاويل السوء و السلام‏

79 و من كتاب كتبه ع لما استخلف إلى أمراء الأجناد

أما بعد فإنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فاشتروه و أخذوهم بالباطل فاقتدوه‏

[[1]](#footnote-1)

1. شريف الرضى، محمد بن حسين، نهج البلاغة (للصبحي صالح)، 1جلد، هجرت - قم، چاپ: اول، 1414 ق. [↑](#footnote-ref-1)